المؤلـــــف

مأخوذ من الرسالة : حميد الدين الفراهي

حياته ، ومنهجه فى تفسير القرآن " وقد لخصتـــــه

لضمه الى مقدمة بحثى عن " الرأى الصحيح فيمـــن

هو الذبيــــح "

مؤلف هذا الكتاب ، الامام حميد الدين الفراهى • ولد فى قرية " فريهــــا " من قرى مديريـــة " أعظم جره " بالولاية الشمالية بالهند فى سنة ١٢٨٠ هجريـــة= سنة ١٨٦٢ ميلادية ، فى أسرة لم يتنبه لها التاريخ • وقد بحثت كثيرا فى كتب التاريـــخ الحديث ، لأحصل على بعض المعلومات عنها ، فلم أجد شيئا يجدى فى هذا الصدد ، الا أنه تبين لى بعد ما اتصلت بالعلماء الذين لهم صلة قريبة أو بعيدة بـــه ، أنهـــا كانت على قسط كبير من العلم ، والدين ، وكانت تتمتع باحترام بالغ فى قلوب النـــاس ، حيث كانت لها الزعامة ، والقيادة فى القريـــة ، وفى القرى المجاورة لها •

بدأ الفراهى دراسته فى بيته • وقد حفظ القرآن الكريم أولا على عادة الأســـر المسلمة المتمسكة بالدين الحنيف ، فكان أبناؤها يحفظون القرآن الكريم كله أو بعضا منه " ، وبعد أن أكمل حفظه لكتاب الله أدخل فى مدرسة القرية لدراسة اللغة الفارسية التى كانت لغة الدراسات الاسلامية فى ذلك العصر • وكان الله قد منحه ذهنا قويا ، فنبغ فى مـــدة قليلة فى هذه اللغة وآدابها ، وحصلت عنده ملكة شعرية جعلته ينظم فيها القصائـــد على منوال الشعراء الفحـــول •

وبعد انتهاء دراساته الفارسية ، خرج من قريته ، وذهب الى العلامة " شبلى النعمانى " الذى كان من نابهى الذكر فى الهند ، والمتضلعين من الأدبين الفارسى ، والعربى مع علو كعبته فى اللغة الأردية وآدابها ، وكان شبلى ابن عمة الفراهى ، فأكمل عنده دراساته العربية ، والدينية حسب المنهج الدراسى حينذاك فى الهند ، الذى كان يحتوى على اللغة العربية ، والأدب ، والتفسير ، والحديث ، والبلاغة ، والنحو ، والفلسفة ، والمنطق .

ولما قام " شبلى النعمانى " فى سنة ١٨/ ميلادية برحلة علمية داخل شبه القارة الهندية ، خرج معه الفراهى أيضا ، ومكث معه فى " لكناؤ " عاصمة الولاية الشمالية ، وهناك عرف العلامة " أبا الحسنات عبد الحى اللكنوى " صاحب المؤلفات القيمة فى الفقه والحديث ، ودرس عليه الفقه الاسلامى ، كما اتصل خلال اقامته فى " لكناؤ " بالأديب الكبير الشهير عزيز الدين عزيز اللكنوى ، فأفاد منه كثيرا فى الأدب الفارسى وربطت بينهما علاقة ودية راسخة بقيت الى أن فرق الموت بينهما .

رجع الفراهى من " لكناؤ " بعد أن حصل على ما حصل من العلم والمعرفة وكان قلبه الطموح يبحث عن رجل يستطيع أن يشبع غلته ، وكان قد سمع خلال اقامته فى " لكناؤ " أن هناك فى لاهور عالما وأديبا كبيرا يدرس بكلية العلوم الشرقية The Oriental College " وهو العلامة الشهير " فيض الحسن السهارنبورى " ، فدب فى قلبه دبيب الشوق للالتحاق بهذه الكلية والاستفادة من علمه ، وفضله ، فاستأذن من أبيه ، وخرج الى " لاهور " ، ولكنه

نوجى" لدى وصوله اليها أن ميعاد الالتحاق قد فاته ، ومن ثم كان عليه أن ينتظر الى العام القادم ، فلم يقنع بهذا الحبر ، وأراد أن يتصل بـ "فيض الحسن" نفسه ، ويعرض عليه أمره ، فتم له ما أراد . ولكن فيض الحسن رد عليه : أنه ملتزم بقوانين الكلية ، وليس فى استطاعته ادخاله فيها مادام ليس فيها مكان شاغر ، كما أنه لا يقدر على اعطائه وقتا فى المنزل ، ولكن الفراهى قال له : انه قد تحمل كل هذه المشقة ليستفيد منه . فهل يرجع خائبا خاسرا ، فأثر كلامه فيه ، وقال : ان مشاغلى لا تترك له بقية من الوقت الا ما أقضيه فى الطريق من البيت الى الكلية ؟ وأنا استخدم عربة يجرها الخيل ، فهل تستطيع أن تدرس على فى الطريق بحيث تجرى وراء العربة ، وأنا راكب فيها " وكان فيض الحسن يريد اختبار ارادته ، وشوقه العلمى فقبل الفراهى ذلك ، ولا ننسى هنا أن نذكر أنه كان من أسرة غنية ميسورة الحال ، وأنه نشأ فى ترف ونعيم ، ولكنه حبه العلمى جعله يتحمل كل الصعوبات فى سبيله . فلما رأى فيض الحسن أنه صادق فى ارادته تحول اليه ، ومنحه جانبا لا بأس به من وقته . وهكذا حقق الفراهى أمنيته وهى تكميل تخصصه فى الأدب العربى عنده .

ولا نعرف الفترة التى أقامها الفراهى بلاهور ، ولكن العلاقة التى نشأت بينه وبين أستاذه ، كانت علاقة متينة للغاية استمرت بعد عودته من لاهور ، ولم ينس أستاذه فضله عليه طوال حياته . وقد قام بطبع ديوانه العربى على نفقته الخاصة ، كما كان الأستاذ يفتخر بأن مثل الفراهى من تلاميذه .

دراسته اللغة الانجليزية :

حينما رجع الفراهي من لاهور كان عمره عشرين سنة ، وكان ذلك فى سنة ١٣٠٠ هجرية / سنة ١٨٨٢ ميلادية ، فعقد العزم على أن يتعلم اللغة الانجليزية ، رغم أن تعلمها كان يعد فى ذلك الوقت كفرا عند علماء المسلمين ، لأنها لغة الانجليز الذين قضوا بأفكارهم ، وسلوكهم على الروح الدينى ، والمزايا الشرقية فى المجتمع الهندى . ولكن الفراهى رأى : أن اللغة الانجليزية ، والثقافة الغربية لابد من تعليمها لأبناء المسلمين لأن الدفاع عن الاسلام وصاحبه ، وتاريخه ، كما أن نشر الاسلام ، وتعاليمه لا يمكن الا بالجمع بين العلوم القديمة العربية ، والعلوم الحديثة الغربية ، اذ كان ذلك عصر الانتقال من طور الى طور ، وكان أهل الغرب قد نبغوا فى الفلسفات الحديثة ، وأنشأوا علوما تقوم على التشكيك فى العلوم الاسلامية عامة ، والعقائد خاصة . وكان الجيل الجديد من المسلمين متأثرا بالثقافات الغربية ، وآراء علماء الغرب حيال الاسلام ، وثقافته ، فكان من الضرورى توجيههم توجيها سليما ، وذلك هم لا يمكن الا بالوقوف الكامل على مناهج أهل الغرب فى البحث والتفكير ، والتعمق فى الثقافات الغربية . فالتحق الفراهى من أجل هذا الهدف بكلية عليجرة الاسلامية ـ الجامعة الاسلامية حاليا ـ ورغم أنه التحق بها لدراسة اللغة الانجليزية ، الا أنه لم يقصر جهوده فى هذا الميدان فقط ، بل وسع دائرة نشاطه ، وبدأ يستفيد من الندوات العلمية ، والأدبية التى كانت تنعقد فيها ، ويشترك فيها كبار الأساتذة بالكلية ، أمثال العلامة شبلى النعمانى ، والأديب الكبير والشاعر المبدع الطاف حسين حالى ، والمستشرق الانجليزى المعروف "توماس ارنولد" ، الذى كان يدرس الفلسفة

الحديثة ، وكانت تعم هذه الندوات روح علميـــــة •

وفضلا عن أن الفراهى أكمل فى كلية عليجرة الاسلامية الثقافة الانجليزية ، فانـــــه استفاد من المستشرق ارنولد فى دراسة الفلسفة الحديثة ، فجمع صاحبنا بذلك بين الثقافات الاسلامية ، والغربية ، وزادت هذه الثقافات فكره ، وعقيدته عمقا ، وعملت على ترسيـخ ايمانه بمبادئ الاسلام •

يقول العلامة السيد / سليمان الندوى : كان مع كونه مثقفا بالثقافة الانجليزية ، مثالا رائعا للاخلاق الحسنة ، والزهد والتقوى ، كان مطلعا على العلوم الحديثـــة ، وخبيرا بمتطلبات عصره • وكان أول من كتب وتحدث فى الفلسفة الكلامية بعد البحـــث ، والتمحيص ، والدراسة ، وكان الذين تصدوا للكلام فى هذا المجال قبله يرددون كـــل ما قاله الآخرون ، وان كانوا يزعمون أنهم مؤسسون لعلم الكلام " ، (" وفاة الفراهـــى " مقال نشر فى مجلة " معارف " التى تصدرها دار المصنفين بأعظم جرة فى سنة ١٩٣١م)•

وأصدق شاهد على ذلك أن الفراهى حينما كان يدرس على " ارنولد " لم يكـــن يسكت على كل أفكاره وآرائه سواء أكانت اسلامية أم غير اسلامية ، بل كان يناقشه مناقشـــة صريحة ، ورغم أن أرنولد كان يعد من القلائل الذين أثروا فى أذهان المسلمين وغـــير المسلمين تأثيرا قويا جعلهم ينظرون اليه وأمثاله وكأنهم قدوة فى البحث والتفكـــير ، فان الفراهى لم يكن يعتبره غير مستشرق هدفه التشكيك فى الاسلام وعلومه ، ونشر العلـوم الغربية فى المجتمعات الاسلامية •

ولما ألف " أرنولد " كتابه الشهير " الدعوة الى الاسلام Preaching of Islam

ملاء قلوب الناس غبطة وسرورا ، فكانوا يعتبرونه خدمة للاسلام ، والدعوة الاسلامية ،
ولكن الفراهى كان أول من وقف على اتجاهه الاستشراقى ى هذا الكتاب ، وأعلن
أن المؤلف قد أهمل فيه مكانة الاسلام الروحية اهمالا يكاد يكون متعمدا ، ولم يتعرض
لتسامح المسلمين مع غيرهم ، ولم يكتف بذلك ، بل هدم ركن الجهاد الذى يعد من
أهم أركان الاسلام .

فالفراهى لم يكن اذن مقلدا أعمى لعلماء الغرب يقبل كل ما يقولونه ، بل كان
يعرض أفكارهم على محك النقد ، فاذا صلحت قبلها والا نبذها ، ويبين فسادها كلما
استطاع الى ذلك سبيلا .

وفى سنة ١٨٩٢ حصل الفراهى على شهادة الليسانس فى الأدب الانجليزى من
جامعة الله آباد ، واستمر فى دراسته ، ولكنه لم يكمل دراسته للماجستير .

دراسته اللغة العبرية :

فى سنة ١٩٠٦ ميلادية قدمت الحكومة البريطانية فى الهند مساعدة مالية كبيرة
الى القسم العربى فى كلية عليجرة الاسلامية ، ولكنها اشترطت أن يدرّس فيه أستاذ
أوربى - وهذا دأب الاستعمار فى كل مساعداته - فقبلت الكلية هذه المساعدة ،
لأنها كانت فى حاجة ماسة اليها ، وانتدبت المستشرق الألمانى " جوزيف هورفيتس "
لتدريس اللغة العربية ، وكان الفراهى قد عيّن أستاذا مساعدا فى القسم المذكور .

وحينما تسلم المستشرق المذكور منصبه أتصل بالفراهى ، فعرف فى أول لقاء له

مكانته العلمية ، ومهارته فى اللغة العربية وآدابها ، ورغم أنه كان أستاذا ، ولكنه لم يتردد فى أن يعرض على الفراهى أن يعلمه اللغة العربية ، فقبل ذلك . وكان المستشرق متخصصا فى اللغة العبرية ، فانتهز الفراهى الفرصة وبدأ يدرسها على المستشرق ليستفيد بها فى دراسته للثقافات اليهودية والمسيحية . وقد أفادته هذه اللغة فى أبحاثه فيما بعد لا سيما فى كتابه " الرأى الصحيح فيمن هو الذبيح " الذى نحن بصدد الحديث عنه .

كان الفراهى مع حدة ذهنه ، وكثرة فضله ، وسعة علمه سليم الايمان ، قوى اليقين ، طاهر السريرة ، نقى القلب ، بعيدا عن الرذائل برا بوالديه مطيعا لأوامرهما فى الخير . وفى صغر سنه كان يقرأ على عمته " قصص الأنبياء " التى كانت تحب أن تسمع القصص المقدسة للأنبياء الكرام . وبمزاولة هذا العمل قد تغيرت مناهج تفكيره ، ورسخ فى قلبه حب الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، حتى عرف ـ وهو لم يبلغ سن الرشد بعد ـ أن خير مسلك للحياة هو مسلك الأنبياء الذين كانوا يخطون كل خطواتهم فى سبيل الحق والخير .

وكان من ورعه أنه التزم الصدق منذ صغره ، وهو يقول : حيث لا يجد الناس حرجا فى قول الكذب قد التزمت الصدق ، وقد جربت فى حياتى أن صاحب الصدق لا يخسر أبدا " ، كما أنه يحكى حكاية طريفة تدل على مدى التزامه صفة الصدق فهو يقول : عندما كنت أعد العدة للسفر الى لاهور للتخصص فى الأدب العربى ، عند العلامة الشيخ فيض الحسن ، ودعت أمى وخرجت من البيت ، فلقيت أبى بالباب فسألنى عن مبلغ

النقود التي أعطتني والدتي ، ففكرت في ذهني أن أخبرته بالمبلغ الذي أخذته من أمي فربما خصمه مما يريد أن يعطيني من النقود ، ووقعت في حيرة لا أدري ماذا أفعل ، وبدا لي أنه لا محيص لي عن الكذب ، ولكنني صممت على أن لا أكذب ، فأجبت على سؤال أبي : لن أقول لك شيئا " فسره هذا الكلام . وقال : ان حميد لا يكذب ، وأعطاني مبلغا كبيرا من المال لم أكن أتوقعه .

وكان من مظاهر ورعه أنه لم يكن قط يخوض في الحديث عن الناس ، وكانت مجالسه العلمية تضم أناسا من كل الطبقات من الطلبة ، والعلماء ، والباحثين ، وأصحاب السياسة ولكنها كانت بعيدة عن الغيبة ، والنميمة ، والنيل من أعراض الناس مهما كانوا . فان كان الحديث يتجاوز العلم ، والدين الى أخلاق الناس ، وعاداتهم كان الفراهي يوجه دفته الى المباحث العلمية والدينية بحيث لا يشعر بذلك أحد .

وكان من ورعه أيضا أنه كان يتجنب الشبهات فضلا عن المعصية الظاهرة ، ويحكم بالحق ولو على نفسه خوفا من الله . فقد كتب تلميذه الشيخ أمين أحسن الاصلاحي: نشب نزاع بين أبيه وبين رجل من قريته حول قطعة من أرض ، فجعل الرجل الفراهي حكما لهذه المشكلة ، وأذن له أن يحكم بما يشاء ، فبعد أن درس الفراهي المشكلة عرف أن الحق مع الرجل لا مع أبيه ، وحكم بتسليم الأرض فورا للرجل " من هذا يتبين مدى عدالته كما يتبين مدى ثقة الناس به .

وكان الفراهي أيضا معتزا بنفسه . وقد شغل زمنا منصب عميد كلية " دار العلوم " في حيدر آباد ، وكان شغله الشاغل التدريس والتأليف ، ومكث في منصبه أعواما أبى

خلالها الاتصال بحاكم أقليم حيدر آباد الذى كان الناس يتمنون لقاءه ، ولم يشأ حميد أن يلبى الدعوات المتتالية التى كان يوجهها اليه الحاكم لمقابلته ، ولكن بعض أصدقائه ألحوا عليه فى تلبية الدعوة ، فذهب على مضض الى قصر الحاكم ، ولم يلتزم الفراهى يومئذ بقوانين البلاط المعمول بها فى القصر ، وهى ألا يرفع صوته على صوت الحاكم ولا يناقش فيما يراه الحاكم صوابا ، وعندما يقوم من عنده يرجع رجعة القهقرى ، فقد كان يرى أن فى هذا إهانة للنفس . وفضل مغادرة حيدر آباد مؤثرا الحفاظ على كرامته ، وعزة نفسه غير ملتفت الى المرتب الكبير الذى كان يتقاضاه فى منصبه ، والذى كان يبلغ نحو خمسمائة جنيه فى الشهر الواحد ، وهو أعلى مرتب كان يتقاضاه أى شخص فى الهند ، ولكنه لم يبال عندما أصبح الأمر متعلقا بكرامته .

انتاجه

لم يكن الامام الفراهى مصنفا محترفا ، بل كان همه اصلاح المسلمين عامة عن طريق اصلاح العلماء اذ بيدهم زمام أمور المسلمين الدينية ، كما جاء فى وصفهم أنهم " ورثة الأنبياء " وقد كتب أو أراد أن يكتب فى جميع العلوم التى لها علاقة بكتاب الله . واختار اللغة العربية ليكتب بها ، فهى اللغة الموصلة الى فهم الاسلام ، وهى كذلك اللغة المشتركة بين المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، وقد اعترض عليه أحد معاصريه قائلا : لماذا تكتب باللغة العربية ، ولا سيما تفسيرك للقرآن الكريم ، وعارفو هذه اللغة فى الهند لا يتجاوزون عدد الأصابع ؟ فرد عليه : انى أفسر كتاب الله للعلماء

لأنهم هم الذين بعدوا عن جادة الطريق فكريا وعلميا ، فبدون اصلاحهم لا يتأتى اصلاح عامة المسلمين ، وأنا أريد بتفسيرى للقرآن الكريم أن أدعو العلماء للقيام باصلاح أفكارهم ، وسلوكهم ، لتزول الانحرافات التى جدت فى المجتمع الاسلامى ، كما لا أريد أن تكون رسالتى مقتصرة فى بلد دون آخر ، بل أريد أن تعم وتنتشر فى جميع البلاد الاسلامية . ومن المعروف أن لغة علماء المسلمين المشتركة هى اللغة العربية لغة كتاب الله وسنة رسوله ، ولذلك اخترتها لنشر أفكارى ورسالتى " . وبالاضافة الى ذلك كان الفراهى متحمسا للعرب ولغتهم تحمسا كبيرا ، فقد كان يرى أن الدفاع عن العرب دفاع عن الدين ، لأنهم حاملو الدين الاسلامى ، والرسول صلى الله عليه وسلم بعث فيهم ومنهم الى الناس كافة .

وهنا نرى من المناسب أن نلقى أضواء خاطفة على بعض مؤلفاته ، لكى يتبين للقارئ العربى الجهود التى بذلها هذا الرجل فى سبيل خدمة العرب ونشر الاسلام .

١) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان :

كانت حركة الاحياء فى العلوم الاسلامية التى قامت عقب سقوط الدولة المغولية الاسلامية فى الهند ، و سيطرة الاستعمار الانجليزى على شبه القارة الهندية ردا على افتراءات المبشرين والمستشرقين التى تزايدت عقب دخول الانجليز فى الهند ، وكان الهدف منها تقويض أركان الاسلام ، والقضاء على المجتمع الاسلامى ، والأصول الاسلامية السامية ، حتى يخلو الجو للانجليز دون منازع أو مدافع .

وكان من أبرز سمات حركة الاحياء هذه اهتمامها بتفسير القرآن الكريم بأسلوب جديد لا تلتزم فيه بالأساليب التقليدية التى درج عليها المفسرون الأولون ، وهى الاعتماد على اللغة العربية ، والآحاديث النبوية ، ورغم توافر حسن النيّة ، وطهارة المقصد لدى بعض هؤلاء المفسرين الذين ظهروا فى عصر الاستعمار ، الا أنهم ما لبثوا أن حادوا عن جادة الطريق ، وانتهى بهم الأمر الى القول بالرأى فى التفسير . وقد قوى هذا الاتجاه بدرجة كبيرة ، حتى تكونت مدرسة سميت " بمدرسة أهل الرأى فى التفسير " بدأت تفسر القرآن حسب فهمها له لا كما فهمه الرسول صلى الله عليه وسلم ، والمسلمون من بعده ، كما أنكرت المعجزات والدعاء وعددا كبيرا من المبادئ الدينية .

وعندما أعد الفراهى عدته للنظر المستقل فى العلوم الاسلامية ، والعلوم القرآنية ، وجد أنه آن الأوان له أن يقوم بالدعوة الصحيحة للاسلام ، وتنقية المجتمع الاسلامى الهندى مما أصابه من الأفكار الغربية الهدامة ، كما آن له أن يتصدى لاصلاح حال المسلمين فى البلاد ، ووجد أن هذا الاصلاح لا يتأتى الا بتوجيه المسلمين الى دراسة القرآن دراسة جديدة ، حتى تتضح لهم المقاصد العالية التى جاء بها ، وتتبين لهم التعاليم الاسلامية الغراء ، فيستطيعوا الصمود أمام التحديات الغربية الاستعمارية الالحادية ، كما يمكن لهم القضاء على الخلافات المذهبية التى كانت على أشدها فى عصره لبعدهم عن روح القرآن الكريم .

ولكن الفراهى قبل أن يقدم على هذه المهمة الجليلة الشاقة ، وقبل أن يرد ميدان التفسير ، وضع أصولا متينة للتفسير فى مقدمته التى سماها " فاتحة نظام القرآن ،

وتأويل الفرقان بالفرقان " وقد وضع هذه الأصول لكى يمنع انتشار التفسير بالـــرأى ، ويفتح بابا لدراسة القرآن دراسة صحيحة .

ومنهج الفراهى فى تفسيره يشتمل على المبادئ الرئيسية : منها ، النظـــام ، والربط بين آيات القرآن وسوره ، فمعرفة النظام والربط عنده هى معرفة نصف القـــرآن فمن فاته النظام والربط فقد فاته شئ كثير . كما أن السبب عنده فى الخلافات المذهبيـــة التى جدت فى الأمة الاسلامية ، وأثارت بينها عداوة وبغضاء يرجع الى عدم اعتناء العلماء بالنظام القرآنى ، فهو يقول : فانى رأيت جل اختلاف الآراء فى التأويل من عدم الـــتزام رباط الآيات ، فانه لو ظهر النظام ، واستبانت لنا مقاصد السور ، لجمعنا تحت رايـــة واحدة وكلمة سواء ، كشجرة طيبة أصلها ثابت ، وفرعها فى السماء ، وجعلنا معتصمين بحبل كتابه كما قال تعالى : واعتصموا بحبل الله جميعا ، ولا تفرقوا "[1] وهو يعـــنى بالنظام والربط أن تكون السورة كلها متكاملة مترابطة آياتها بعضها ببعض ، ثم تكـــون ذات صلة بالسور السابقة واللاحقة ، فكما أن الآيات ربما تكون معترضة فكذلك تكون الســور أيضا معترضة ، وعلى هذا الأصل نرى القرآن كله كلاما واحدا مترابطا فى نظام واحـــد .

والمبدأ الثانى الذى التزم به الفراهى فى تفسيره هو : تفسير القرآن بالقـــرآن " فانه يجعل القرآن أولا امامه فى فهم معانيه ، ومفرداته ، ولا يرجع الى مراجع أخـــرى الا اذا أعيته الحيلـة فى العثور على مفردات متشابهة المعانى ، وعند ذاك هو يرجـــع

---

(١) سورة آل عمران ، ١٠٣ .

الى الحديث النبوى لفهم معانى القرآن ، كما أنه يوجب الاستعانة بكلام العرب الجاهلى لفهم معانيه . وكان دأبه الاكثار فى الرجوع الى أساليب العرب الموجودة فى أمهات الكتب العربية من الشعر والنثر لفهم مفردات القرآن . يقول العلامة سيد رشيد رضا [١] : ان له لفهما ثاقبا فى القرآن ، وأن له فيه مذاهب فى البيان ، وطرائق فى الاستطراد منها القريب والبعيد ، وانه لكثير الرجوع باللغة الى مواردها ، والصدور عنها ريان من شواهدها ، فقد كتب فى تفسير كلمة " صغت " فى قوله تعالى : " ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما " [٢] .

٢) مفردات القرآن :

لا يعد هذا الكتاب معجما لغويا لألفاظ القرآن الكريم كما يظهر من اسمه ، بل شرح فيه الامام الفراهى بعض ألفاظ كتاب الله التى خالف فيها المفسرين واللغويين . وطريقته فيه أنه يبحث عن معانى هذه الألفاظ أولا فى القرآن الكريم نفسه جريا على قاعدة " القرآن يفسر بعضه بعضا " ثم يستدل على آرائه بكلام العرب الجاهلى من الشعر والنثر ، كما أنه يكثر الاستدلال باللغة العبرية ولاسيما للألفاظ التى قال عنها بعض المستشرقين أنها ليست عربية . فهو يقول عن كلمة " الأب " الواردة فى سورة " عبس " : الأب" العشب ، والمرعى من أب يؤب أبا وابابا وأبابة : نشأ وطلع ، وهى مادة قديمة

---

(١) مجلة " المنار" ج ١ ، المجلد الثانى عشر ، سنة ١٩٠٩ ، ص ١٣٥ .

(٢) سورة التحريم ، ٤ .

جرى فيها تصرف اللسان فتجدها فى صور متشابهة . مثلا : أم ، هم ، هب ، تأهب ، فأب صورة أخرى لهب . ولذلك نظائر : مثلا : هز ، أز ، وأراق هراق " ثم يبين وجه تسمية المرعى والعشب " بالأب " فيقول : انما سمى المرعى أبا لنشأه بعد المطر ومنه أبان النبات لأول خروجه ، ثم توسع فقيل " أبان الشباب " لمناسبة ظاهرة ، ثم أبان كل شئ أول وقته وتجد هذه المادة بهذا المعنى فى العبرانية وهى أخت العربية ܐܒܒ (اب ب) ܐܒ (اب) الخضرة والثمرة ܐܒܒܐ (أبيب) السنبلة الخضراء ومما ذكرنا يتبين أن هذه المادة مما عرفته العرب ، وانما قل استعمالها فى أشعارهم لخفة مترادفاتها . " (١)

فنظرة عابرة على هذا الكتاب تبين تمكن الفراهى من اللغة العربية ، وسعة اطلاعه على أساليب بلغاء العرب ، وفصحائهم .

٣) جمهرة البلاغة :

بين الفراهى فى هذا الكتاب آراءه ، ونظرياته البلاغية ووضع أصولا جديدة فى ضوء من القرآن وأساليب الشعراء والأدباء الجاهليين ، والذين عاشوا عصر الرسول

---

(١) مفردات القرآن ص ١٥ . أنظر لسان العرب ، ٤٠٧/٣ ، والقاموس المحيط ١٩٤/٤ ، وقد رد المرحوم عباس محمود العقاد على أحد المستشرقين الذى زعم أن الكلمة ليست من العربية . راجع "ما يقال عن الاسلام" ، ص ٢١٧ .

صلى الله عليه وسلم ، وعصر ما قبل اختلاط العرب بالعجم .

والفراهى مع تقديره واحترامه للجهود التى بذلها البلاغيون لوضع أصول البلاغة العربية ، يرى أن معظم هذه الأصول مأخوذة من كلام اليونان الذى دخل بواسطة الترجمة ، ولذلك لا يمكن فهم محاسن أسلوب القرآن ، ومزايا كلام العرب البلاغية بهذه الأصول . والدليل على ذلك أن قدامة بن جعفر الذى يعتبر أول ناقد منهجى فى اللغة العربية ، استمد معظم أصوله من الأدب اليونانى . فانه أولا : جعل أساس الحسن والجودة فى الكلام على الكذب .

وثانيا : أعطى كل عنايته للصياغة ، والنظم لا للمعنى . وذلك يخالف روح الأدب الاسلامى فاذا قارنا بين كتاب " نقد الشعر " لقدامه ، و " الشعر " لأرسطو وجدنا شبها كبيرا بينهما . فأرسطو وضع أصولا للنقد فى ضوء كلام الشاعر اليونانى " سوفاكليس " الذى كان يصف الناس خلاف ما هم عليه . أما الفن العربى فقد كان قائما على هذا الأساس الذى بيّنه طرفة بن العبد البكرى فى شعره :

وان أحسن بيت أنت قائلــه بيت يقال اذا أنشدته صدقا (١)

فالفراهى يريد أن توضع أصولا للبلاغة والنقد فى ضوء من الأدب الاسلامى الذى جاء به القرآن ، والحديث النبوى ، فهذا الأدب ليعنى بالصياغة ولا شك ، ولكنه يعطى أهمية كبرى للمعنى . ولذا يدعو الفراهى : أن يدرّس فن البلاغة كفن فيه متعة

---

(١) ديوان طرفة تحقيق كرم البستانى ، ص ٩٨ .

للقلب والروح ، لا كعلم يقوم على المنطق ، والفلسفة . وذلك لا يتأتى الا بكثـــرة دراسة النصوص الأدبية من القرآن ، ومن كلام أساطين العرب فى العصور الأولـــى ، لا من كلام الشعراء المتأخرين الذين دخل فيه كثير من الصنعـــة .

ويرى الفراهى ، ان الفن ليس مجرد وسيلة للذة ، ولا اشباع جوع النفـــس ، بل هو وسيلة لنشر القيم الأخلاقية ، والتعاليم النبيلة بأسلوب ممتع جذاب ، اذ يقـــول : ان الكلام لا يبلغ قلب العاقل الا أن يكون معناه شريفا . ولا اعتبار لتأثر الحمقى ، والأشرار ، فاننا نعطى الأشياء اسما نظرا لسلامة الحال ... فالبليغ هو المعنى ، واللفـظ مركبه ، فالمعنى أجدر بالنظر فى حسن الكلام ." (١)

والى جانب هذه الكتب ، ألف الفراهى كتبا كثيرة أخرى كلها تسعى وراء هـــذه الغاية السامية ، ألا وهى اصلاح التفكير الاسلامى . ونكتفى بذكر أسمائها :

١) أساليب القـــرآن

٢) أسباب الـــنزول

٣) أحكام الأصول بأحكام الرسول

٤) الأزمان والأديـان

٥) الامعان فى أقسام القـــرآن

---

(١) ص ١٠

٦) أوصاف القـــرآن

٧) التكميل ى أصول التأويـــل

٨) دلائل النظـــام

٩) فقــه القـــرآن

١٠) القائد الى عيون العقائــد

١١) كتاب الرسوخ ى معرفة الناسخ والمنسوخ

١٢) كتاب العقل وما فوق العقــل

١٣) ديوانه العربـــــى

١٤) ديوانه الفارسى ـ نواى بهلوى ـ

وبعض هذه الكتب طبع ى الهند ، بينما ظل بعضها مخطوطا لم ينشر بعد .

٤) الرأى الصحيح فيمن هو الذبيح :

لا نعرف تاريخ تأليف هذا الكتاب ، والنسخة الموجودة لدى ليس فيها تاريخ الطبع ، ولكننى أعتقد أن الفراهى ألفه ى سنة ١٩١٢ أو نحوه ، فى سنة ١٩١١ اشتعلـــت حرب طرابلس الغرب ، وفى سنة ١٩١٢ تخلّت الدولة التركية عن طرابلس ، وبنغـازى ، لايطاليا . وقد جعلت هذه الحرب ضد بلد عربى عريق ، المسلمين الهنود يبكـــون من أعماق قلوبهم ، ولا سيما بعد أن استولت ايطاليا على طرابلس وبنغازى . فكانـــت الهند التى ظلت تحت الحكم الاسلامى لعدة قرون خرجت من أيديهم ، وها هو بلـــد

عربي يخرج من أيدى المسلمين ويحتله استعمار غربى • وكان الفراهى مرهف الحس فقد حزن أشد الحزن على الكارثة التى ألمت بالاخوة العرب ، وبكى وأبكى ، وحرض المسلمين على خوض المعركة ، والجهاد فى سبيل الله لتحرير الأرض • وقد عبر عن حزنه فى قصيدة نظمها عقب الحرب مباشرة يقول فيها :

كيف القرار ونكست　　أعلامنا بطرابلس
كيف القرار وحولنا　　الأعداء ترتقب الخلس
من كل ذئب ان رأى　　من عزة فينا اختلس
أو افعوان مطرق　　ان لم نبادره نهس
نبكى على اخواننا　　بين القتيل ومن حبس
كم من تقى طاهر　　فيهم ونحرير ندس
هم أهلنا وعشيرنا　　أفيألمون ولا نحس
يا أمة الاسلام يا　　أبناء آباء شمس
هل تنعسون وخصمكم　　عن كيده ما أن نعس
ألا تهبوا اليوم فا　　لاسلام يتعس بل تعس
قد زلزلت أركانه　　حتى تقعقعت الأسس
فالخصم يجهد أن يرى　　الاسلام فى بؤس بئس
هلا ذكرتم ما أصا　　ب المسلمين بأندلس
يبغون قسطنطينية　　وبعدها أرض القدس

فهذه الأبيات تبين مدى حزنه على ما أصاب المسلمين العرب فى هذه الحرب من آلام وأحزان ، كما كانت قوة الاستعمار الانجليزى قد بلغت أشدها فى ذلك العصر وكانت السلطات الانجليزية تحاول بكل الطرق القضاء على مشاعر الحماس ، والمحبة التى كان المسلمون يكنونها فى قلوبهم للعرب ، وكان المستشرقون ينشرون من الأبحاث والدراسات المغرضة الكثير بهدف تشويه سمعة العرب المسلمين ، ومن ثم زاد تحمس الفراهى لقضية العرب ، وعقد العزم على أن يتفرغ للكشف عن مزاياهم أمام الناس حتى يعرفوا خبث اليهود ، ومكرهم ، وكيدهم .

وقد قسم الفراهى الكتاب الى مقدمة ، وثلاثة أبواب ، وخاتمة ، وجعل لكل باب فصولا . وعرض فى المقدمة عرضا سريعا لمكانة التضحية فى الاسلام الذى هو فى حقيقته عبارة عن التضحية ، والفداء ، والخضوع الكامل لله تعالى . وان كانت الأديان السماوية اسلاما بالمعنى العام ، ولكن هذا اللفظ " الاسلام " لم يطلق كالعلم والاسم ، الا على هذا الدين الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم . وذلك يدل على ما يحمله هذا الدين من المعانى السامية من تسليم النفس لخالق الكون ، والانقياد لأوامره ، واليه تشير هذه الآية الكريمة : " اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا " (١) ، وكما قال فى موضع آخر : " وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم ، وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم

---

(١) سورة المائدة ، ٣ .

المسلمين من قبل ، وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم ، وتكونوا شهداء على الناس ." (١)

ولما كان اليهود يقومون بدعايات كاذبة ، ومختلقة ضد العرب ، وصحفهم ووسائل اعلامهم تشوه وجوه العرب أمام المسلمين وغيرهم . رأيت من الواجب أن أقدم هذا الكتاب الجليل الصغير الحجم ، الكبير النفع مع التحقيق والتعليق عليه ، لكى يعرف العالم العربى الصورة الحقيقية لليهود ، لا فى العصر الحاضر الذى اغتصبوا فيه فلسطين ، بل فى العصر الماضى القديم الذى لا نعرف عنه الا قليلا ، راجيا أن يكون هذا الكتاب شيئا جديدا فى مكتبتنا العربية ، وسينير لنا طريقا جديدا لدراساتنا عن اليهود ، ومؤامراتهم ضد العالم العربى .

وأسأل الله الهداية والتوفيق ...

سيد سعيد أحسن العابدى

(١) سورة الحج ، ٧٨ .